

ميلادُ الحكيم

الزمان: 1234 ق. م. .

المكان: مصر... أرضُ الله... وبالتحديد في صرح
أمنحتب الحكيم المصري القديم..

دار ذلك الحديث..

أمنحتب: ماذا تقول؟! هلا أعدت على مسامعي ما قلته مرة
أخرى؟!..

الوصيف: نعم، بالطبع.. لقد ذهبتُ إلى مولاي «بُرعاً»
الفرعون المعظم.. وقلت له ما أمرتني بالحرف الواحد.. لقد
قال لي مولاي المعظم: إن الأمر يحتاج إلى دراسة دقيقة متأنية
ويجب علينا أن نتمهل قليلاً، لأن الأمر خطير وأية أخطاء غير
محسوبة قد تودي بحضارتنا بأكملها..

أمنحتب: أنا لا أصدق أن مولانا الفرعون المعظم بهذه
السلبية.. امتنع وجه الوصيف وهو يستمع إلى أمنحتب الذي
نعتَ الفرعون بالسلبية والذي أكمل قائلاً: أنا أرى أن هذه السلبية
هي التي ستودي بنا جميعاً.. فيها نحن على أعتاب القرن الرابع

والثلاثين . . وننتظر جميعاً الطامة التي ستحقيق بنا كلنا بلا استثناء دون أن نحرك ساكناً . . وعندما أصل أنا أمحتب الثالث بما أوتيته من علم إلى السفينة التي قد تنقذنا جميعاً . . لا يعيرني الفرعون أية اهتمام أو عناية . . ويقول ببساطة: إن الأمر يحتاج إلى دراسة دقيقة متأنية!!

الوصيف: ولكنك يا سيدي تعلم أن مولاي الفرعون المعظم مشغول الآن جل الانشغال بالاستعداد ليوم الزينة خاصة بعد أن تحده ذلك الساحر الذي يدّعي أنه رسول من عند الله على الرغم أن مولاي الفرعون قد رباه وليدأ في قصره وعامله كابن له .

أمحتب: أنت تعرف مثلي تماماً أن ذلك الرجل ليس بساحر . . وربما الذي لا تعرفه أن مولاي الفرعون يضيع وقته بالاستعداد لذلك التحدي لأنني ببساطة شديدة أعرف النتيجة مسبقاً . .

الوصيف: (وقد ازداد امتقاع وجهه) ماذا تقول يا سيدي؟! تعرف النتيجة؟! وكيف لك . .

قاطع أمحتب وهو ينظر خارج الحجرة نظرة لا تخلو من إيمان: كيف ماذا يا عور هلخ . . وهل من الصعب على حكيم مثلي أن يتنبأ بنتيجة تحدٍ بين جبار ظالم ورسول صادق كريم . .؟! . .

نظر إليه عور هلخ بدهشة رهيبة وقال: سيدي هل .. هل .. هل ؟
 قاطعه أمنتب بصرامة قائلاً: نعم .. نعم يا عور هلخ .. لقد
 أسلمت لرب الوليد .. وآمنت بما أنزل على رسوله ..

عور هلخ: ولكن يا سيدي إن الفرعون قد جمع السحرة
 لميقات ذلك اليوم .. وسيكون من الصعب ..

أمنتب مقاطعاً: اصمت يا عور هلخ .. اصمت .. سترى
 بنفسك كل شيء يوم الزينة .. سترى بنفسك ..

ساد الحجرة صمتٌ مطبق اخترقه صوت عور هلخ قائلاً:

وماذا عن مشروعك لإنقاذنا يا سيدي؟

أمنتب: آه ... لقد قررت أن أقابل الفرعون بنفسي لأشرح
 له الموقف .. فإن أبى فسيكون من الخاسرين وفي هذه الحالة لن
 ترني بعد يوم الزينة إلا بعد فترة كبيرة يا عور هلخ .. كبيرة
 جداً .. جداً ..

قال عبارته الأخيرة وهو يفتح باب صرحه مستعداً للخروج
 لمقابلة الفرعون، وكاد أن يغلق وراء الباب إلا أن عور هلخ
 استوقفه قائلاً: سيدي ..

نظر إليه أمنتب فتردد عور هلخ ثم حسم أمره قائلاً: سيدي

هل لك أن تقول لي كيف يتأتى للمرء أن يدخل ذلك الدين الجديد.. ؟

ابتسم له أمنتب ثم صمت قليلاً وقال له باعتداد: إنه الإيمان يا عور هليخ.. الإيمان.. وأغلق الباب خلفه برفق ومن وراءه عور هليخ الذي وقف لا يحرك ساكناً مشدوهاً وقد سالت من عينيه دمعاً ساخنة شقت طريقها عبر وجنتيه، ثم سقطت إلى أن ارتطمت بالأرض فتناثرت أجزاؤها وتناثرت معها خطاياها واقشعر جسده من أخمصه إلى أعلاه.. وهوى ساجداً.. وذاب في رحاب الإيمان.. واقترب..

الزمان: اليوم التالي...

المكان: قصر «برعا» - الفرعون..

خطا أمنتب خطواتٍ واثقة تردد صداها في جميع أنحاء الردهة وهو يرد تحيات الجنود بإيماءة واثقة برأسه.. إلى أن وصل إلى باب الفرعون الذهبي، فاستوقفه أحد الجنود قائلاً له بحزم:

— لا يمكنك الدخول إلا بأمر الفرعون المعظم..

رد عليه أمنتب بضجر:

— قل له: أمنتب.

رد عليه الجندي برتابة:

— لا يمكنك الدخول إلا بأمر الفرعون المعظم..

كاد أمحنب أن يتفوه بكلمة إلا أن الباب فتح فجأة وخرج منه رجلان.. انتهز أمحنب الفرصة وطالب الجندي أن يدخل ليسأل الفرعون أن يدخله.. ففعل.. سمع أمحنب الرجلين يتحدثان معاً بصوت خفيض وسمع أحدهما يقول للآخر:

— أحسنت يا مربلاح.. لقد أخذنا منه العهد والأجر مسبقاً وهذا كل ما نبغيه..

رد عليه مربلاح مبتسماً:

— نعم، وهل سمعت عندما قال لنا: إننا سنكون له من المقربين؟ هل تعرف معنى أن نكون مقربين للفرعون المعظم؟! سنكون أشهر السحرة على الإطلاق، سنكون أغنى الأغنياء.. بل سيكون لنا مثل ما أوتي قارون: وكل ذلك في سبيل أن نتحدى ذلك الساحر الجديد.

رد عليه الرجل الأول بحيرة:

— ولكن أتعرف يا مربلاح، ذلك الساحر يثير حيرتي حقاً فهو قد تربى في قصر الفرعون ولم نسمع عن سحره هذا إلا في الآونة الأخيرة.. فضلاً عن ذلك أن تلك الحيل التي يفعلها لم نسمع

عنها من قبل في فنون السحر.. ثم إن ذلك الرجل كان معروفاً عنه الصدق والأمانة الشديدين.. ثم إن..

— ثم إن ماذا يا جربلاح؟ هل فتتك الرجل إلى هذا الحد؟! أنا شخصياً لا يهمني كل ذلك.. كل ما يهمني هو أجر الفرعون لنا إن كنا نحن الغالبيين..

أوماً جربلاح برأسه موافقاً: نعم يا مربلاح هذا هو المهم.. ويجب ألا ننسى أن موعدنا يوم الزينة ويجب أن نستعد..

في هذه اللحظة فتح الجندي الباب ونادى على أمنحتب أن يدخل إلى حجرة الفرعون.. ففعل..

خطاً أمنحتب خطواتٍ واثقة إلى الداخل غير مبالي بفخامة المكان المطرز بالذهب والأحجار الكريمة ولا مبالي بأولئك الغيد اللائي وقفن حول الفرعون من كل جانب.

تقدم أمنحتب نحو ركن الفرعون المظلم وقال له ثابتاً:

— مولاي فرعون مصر العظيمة.

أشار إليه الفرعون أن يجلس.. ثم أشار إلى جميع من في الغرفة أن يغادروها.. ثم التفت إلى أمنحتب وبدأه بالسؤال قائلاً:

— ماذا فعلت يا أمنحتب بخصوص ظاهرة الجراد الذي ينقض علينا من الجنوب؟

قال له أمنتب:

هذه الظاهرة غير مفهومة البتة ولم نصل حتى الآن إلى وسيلة للتغلب عليها.. ثم أردف قائلاً: ولكنني جئت اليوم لأحدثك عن موضوع أكبر من ذلك بكثير.. موضوع خطير قد يقضي علينا جميعاً..

قام الفرعون من مجلسه المعظم ثم قال:
آه. هل تقصد موضوع الوليد؟! إن ذلك..
قاطعه أمنتب بسرعة:

لا، لم أقصد ذلك الموضوع.. ثم أردف بسخرية لم يلحظها الفرعون: فذلك الموضوع محسومٌ تماماً، وإنما أقصد موضوع التسرب النووي الذي حدث في معبد الرمسيوم..
قاطعه صوت غاضب قائلاً:

إشاعات.. كلها إشاعات.. لم يحدث أية تسرب في الرمسيوم أو في غيره وأتحدى من يأتي بعكس ذلك..

التفت أمنتب إلى مصدر الصوت ثم ابتسم بتهكم وقال: لقد ظننت أن مولاي الفرعون قد أمر الجميع بمغادرة المكان!! ثم أردف بتهكم: صديقي هاما.. هل انتهيت من بناء الصرح الذي أمرك به الفرعون ليطلع على إله الوليد؟! نعود إلى موضوعنا..

كل الدلائل العلمية وبحوثي تؤكد أن ذلك التسرب قد حدث بالفعل.. وأن نتيجته ستكون وخيمة... وخيمة جداً.

رد عليه هامان بصوت هادر:

كذب.. ثم التفت إلى الفرعون وقال: كذب يا مولاي.. لا تصدق ذلك المفتري.. فكل معابدنا تُستخدم لأغراض دينية أو أغراض فلكية.. ولا يوجد ما يسميه أُمَنَحَتَب بالمفاعل النووي في الرمسوم أو في غيره.. أوكد لك..

قاطعهما الفرعون بحسم قائلاً: كفاكما. سأبحث أنا ذلك الموضوع بنفسي وسأرى من منكما الصادق ومن الكاذب.. أما الآن فدعونا نناقش أمر موسى.

قال هامان بتهكم: أنا لا يشغلني أمر موسى فمربلاح وجربلاح قادران عليه بإذن مولاي فرعون مصر العظيم.. ثم أردف في خبث:

أنا يشغلني أكثر أمر أُمَنَحَتَب!

نظر إليه أُمَنَحَتَب بصرامة والتفت الفرعون إلى هامان وقد عقد حاجبيه وضافت عيناه قائلاً: ماذا تعني يا هامان؟ إن أُمَنَحَتَب من أخلص علمائنا وحكمائنا فأفصح عما بداخلك الآن..

أشار هامان بيديه في حركة مسرحية وكأنه كان ينتظر تلك

اللحظة وقال: أمر مولاي فرعون مصر العظيم: وكاد أن يتفوه بشيء إلا أن أمنتب قاطعه موجهاً كلامه إلى الفرعون: مولاي فرعون مصر العظيمة..

قاطعه هامان في خبث: تقصد العظيم!

لم يلتفت إليه أمنتب ومضى قائلاً: مولاي، لا تسمح لهامان أن يغير مجرى حديثنا فقد جئتك اليوم لأمر جلل وما هو بالهزل لقد جئتك اليوم؛ لأن ذلك التسرب النووي سيقضي على كل أخضر ويابس في الأرض.

سكت الفرعون قليلاً ثم قال: لقد قلت أنني سأبحث ذلك الموضوع بنفسى بعد أن أفرغ من أمر موسى. ولكن قل لي يا أمنتب: ماذا أعددت لهذا الأمر إن كان صحيحاً؟ لقد قال لي عور هليخ: أنك توصلت إلى شيء بصدد تلك المأساة إن كانت حقيقة.

قال له أمنتب وهو يعتدل في وقفته: مولاي لقد أظهرت أبحاثى أننا في مرحلة متأخرة جداً الآن وأن نتيجة ذلك التسرب الإشعاعي ستكون بعد أقل من شهرين وخطتي تتلخص في استغلال إمكاناتنا في علم التحنيط والحفظ كخطوة أولى ثم..

سكت فجأة فعاجله الفرعون قائلاً: ثم ماذا يا أمنتب؟

قال أمنتب: مولاي أرجو أن تأذن لي في جلسة انفرادية..

نظر الفرعون إلى هامان الذي كان يصغي متبهاً ثم قال له:
 اذهب أنت يا هامان لتكمل الاستعدادات ليوم الزينة.
 قال هامان وهو ينظر في عين أمنتب: أمر مولاي ثم انصرف
 في هدوء.

التفت فرعون إلى هامان قائلاً: ها نحن وحدنا يا أمنتب..
 كلي آذاناً صاغية.

تنحى أمنتب ثم قال: إن خطتي تتلخص في نقطتين يا
 مولاي: المرحلة الأولى هي مرحلة التحنيط والمرحلة الثانية
 هي.. سكت للحظة ثم استجمع شجاعته وقال: المرحلة الثانية
 هي الاستنساخ يا مولاي..

نظر إليه فرعون لمدة ليست بالقصيرة ثم قال متسائلاً:
 الاستنساخ؟!

ماذا تقصد يا أمنتب؟!

قال أمنتب: مولاي كما قلت لكم: إننا الآن في مرحلة
 متأخرة جداً ومعبد الرمسيوم هو آلة موقوتة ستنفجر في أي لحظة
 وستودي بنا جميعاً إلى الدمار، وبعد أبحاث مضية توصلت إلى
 أن الحل يكمن في حفظ أجسادنا وتحنيطها ثم أخذ خلية من
 أجسادنا وتركها محفوظة مع الجسد حتى يجدها أحفادنا

ويقومون بعملية الاستنساخ ونولد من جديد في عالم جديد
وننجو من تلك المخاطر..

انفجر الفرعون ضاحكاً على غير عادته ووقاره ثم قال
بغضب: ما هذا الهراء يا أمانحيب؟! إن ما تقول أسخف من
مسرحية رديئة تعرض على مسرح الكرنك!
قال له أمانحيب: مولاي أنا أعلم أن الأمر صعب التصديق
ولكنني جربته على بعض الفئران ونجح. صدقني هذا هو الحل
الوحيد..

قاطعه الفرعون: اصمت يا أمانحيب! اصمت.. لن أسمع
لك أن تهزأ بفرعون مصر العظيم ثم إن أخبارك تأتيني أولاً بأول
فقد جاءني أنك آمنت بموسى الوليد؟ ماذا أنت قائل في ذلك؟!
ازدرد أمانحيب ريقه ثم استجمع شجاعته وقال: مولاي إن
الأمر أخطر مما نتصور جميعاً وحفاظاً على وحدة مصر الوطنية
أرجوك أن تلتفت إلى ما أقول.

قاطعه الفرعون مرة أخرى: ولكنك لم ترد عليّ يا أمانحيب
هل صبأت؟

هل آمنت برب موسى الوليد؟..

قال له أمانحيب في محاولة أخيرة: مولاي أنت تعرف أن
عملية التحنيط تستغرق أربعين يوماً وعملية استخراج الخلية

ستستغرق حوالي أسبوع إذا سيقى لدينا أسبوعين أو أقل قبل أن
تحل علينا الكارثة جميعاً . .

نظر إليه فرعون بعمق ثم برق عينيه قائلاً: إذا أنت لم تصبأ
فحسب بل إنك تروج لإشاعات لخلخلة نظام حكمي وتروج
وتجذب لأفكار تخالف ديننا العظيم، بل إنني أظن أنك متواطئ مع
موسى وتريد أن تقنعني بعملية التحنيط حتى تستطيع أن تتخلصاً
مني . . سكت برهة ثم أردف قائلاً بصرامة: اسمع يا أمنتب
أنت تعلم أنك كنت دائماً أخلص وأحكم علمائي ولذلك
سأعطيك فرصة أخيرة ولتكن شهرين كما قلت أنت لأثبت لك أنه
لا يوجد تسرب نووي، وحتى ذلك الوقت سنفرض عليك
الإقامة الجبرية في منزلك حتى نتخلص من موسى ومن معه
وبعدها لعلك تكون قد عدت إلى رشذك .

هدأ أمنتب وكأنه توصل إلى شيء ثم قال في هدوء: أمر
مولاي فرعون مصر العظيمة . . هل يأذن لي مولاي أن
أنصرف. أشار إليه فرعون أن انصرف ففعل وهو ماضٍ فيما عقد
العزم عليه . .

* * *

مضت الأيام بطيئة وأمنتب منكب في منزله ومعمله على
أبحاثه . .

«هل ما زلت مصمماً على ذلك يا سيدي؟»

التفت أمنتب إلى عور هلخ ثم قال: نعم يا عور هلخ إن ذلك هو الخلاص الوحيد. ثم قال بحيرة: عور هلخ.

قال له عور هلخ: تحت أمرك يا مولاي.. أردف أمنتب: إذا أسعدك القدر أن تقابل موسى فأبلغه مني السلام. قل له يا عور هلخ إنني أعلم أن ما جاءه هو ما جاء به يوسف الصديق من قبل. قل له يا عور هلخ: إنني أمنتب حكيم مصر العظيمة آمنت به وأسلمت لله رب العالمين.. وقل له أيضاً: إنني أعاهده إنني سأعمل على نشر دعوته في أي مكان أكون فيه.. ثم أردف بخفوت وبصوت لم يسمعه عور هلخ: وفي أي زمان..

الزمان: 2011

المكان: مصر.. أرض الله... وبالتحديد في فندق فخم بالهرم وفي قاعة مكتظة بحشد كبير من الناس وقف رجل في أواسط الخمسينات عدل من نظارته ثم قال: أيها السادة والسيدات إن الكشف العظيم الذي توصلنا إليه في العام الماضي وهو الكشف عن مقبرة حكيم مصر القديمة هو كشف عظيم وما هو أعظم منه هو الأبحاث التي استطاع علماؤنا أن يوظفوها علمياً

وعملياً على هذا الكشف العظيم . . سكت قليلاً وتأمل وجوه الصحفيين وكبار رجال الإعلام والوزراء الذين اكتظت بهم القاعة ثم أردف قائلاً: لقد استطعنا أيها السادة والسيدات أن نتحصل على خلية حية من مومياة حكيم مصر القديمة أمنتب الثالث واستطعنا أن نستسخ تلك الخلية ويات الحلم حقيقة سهلة المنال وحتى لا أطيل عليكم ها هي المفاجأة التي طال انتظارها: أشار بيده فدخلت إحدى السيدات تحمل طفلاً رضيعاً أخذ يبكي بكاءً طويلاً تردد في القاعة وسط عيون الناس المشدوهين فقد كانوا ينظرون إلى التاريخ . . كانوا ينظرون إلى أمنتب آخر في زمن آخر

وسجل التاريخ في زمن جديد ميلاد الحكيم

